## من تراب الطريق!

## (٢٦٩) رباط الإسلام (*)

لا يتصور الإسلام فيما يقول أستاذنا الجليل محمد عبد الله محمد في كتابه : معالم التقريب ..لا يتصور الإسلام بطبيعة الحال حرية اسمها حرية ترك الإسلام، فإن الإسلام ليس انتماء إلى حزب تتضوى تحته اليوم لتخلعه عنك غداً، أو ناديا تنضم إليه لتتركه إلى غيره، وليس برنامجاً سياسيا أو اجتماعيا يلغيه الإنسان أو يرفضه متى أراد بلا معقبات .. فإمكان الإلغاء والرفض والخلع والانسلاخ والانضواء والترك مفروض أو مفترض أو متصور في الانتماء إلى الأحزاب أو الأندية أو البرامج، ولكن الإسلام أخوة في الله أبدية في الدنيا والآخرة، ونوع وولاء لله، وبيعة لله سبحانه وتعالى .. بيعة أبدية في الدنيا والآخرة ..

الإسلام نوع حياة لها وجهها الفردي والعائلي والجماعي .. الاستمرار فيها عنصر أساسي .. إذ يتسلمها الأبناء من الآباء، ليتسلمها منهم أبناؤهم وهكذا .. فحرية البقاء في الإسلام أو تركه كأنه فندق أو خان تدخله متى شئت وتخرج منه حينما تشاء لتعود كيف تشاء .. هذه الحرية في الدخول والخروج، والمناورة والمداورة، سخافة لا توجد إلاّ إذا كف المسلم وتوقف عن اتخاذ الإسلام دينا ملزما لأهله، لذلك فإن الارتداد عنه إذا وقع - والعياذ بالله - ليس ممارسة لحرية، وإنما سقوط وخيانة !

الإسلام لا يحترم الرعونة ولا الحماقة، ولا يتصور أن يكون المسلم إلاّ عاقلا .. فلا يتصور حرية الطيش والهوى .. ونحن نخلط أحيانا بين

---

(*) المال ٢٠٠٩/٦/١

الحرية والحماقة فى مبادلنا وملاهينا .. وأحيانا فى يأسنا وفشلنا .. ففى الأولى نتصور - واهمين ! - أن الحرية تنسى وقارها وخطورتها لتحتضن وتحمى نزعات ونزوات وأهواء المآرب والمصالح أو فراغ الرءوس أو مبتدعات اللبس والزينة والتسلية... بينما هذه وتلك أشياء أو شطحات لا يحميها كونها من حرية الإنسان الحديث - بقدر ما يروج لها إقبال الناس عليها ومشاركة الكثيرين فى سخفها، وأن منعها لا يساوى المضايقة التى تتخلف عن إجراءات المنع أو القمع !

هذه النزعات أو الحماقات أو الأهواء يخدمها التهور وأحيانا الجنون، فنقدم عالمين عامدين على تصرفات نعلم أنها مخالفة للعقل .. لأننا نظن - واهمين ! - أننا أحرار فى استعمال العقل وعدم استعماله، وأن هناك مواقف لا تصلح فيها الحكمة وضبط النفس أو أغراض لا تنفع فيها المبادئ، وأنه يباح لذلك أن نواجهها بخلع المبادئ لنعود إليها من بعد أو لا نعود، أو أن نواجهها بالجنون والاندفاع .. لا من باب التظاهر، وإنما من باب الاقتناع - ربما ! - بجدوى الجنون وثمار المجانين .. وحين نمر بهذه الحال الغريبة - نعتبر الذين يصرون على التعقل والاعتدال خصوما لنا وللحرية .. لأنهم يقاومون مداورتنا أو هوسنا الذى نريد أن تكون له الكلمة العليا، ويشيعون حوله ترددا وشكوكا !

والناس حين تخلع المبادئ أو ترفع راية الهوس وتولى هذا أو ذاك فى حياتها هذه المكانة، تغير الأسماء المألوفة لهذه النزعات وتضفى عليها أسماء أخرى - مضللة ! - ذات بريق مداراة لسوئها ! .. ويساعدهم ذلك الخداع للنفس أو للغير على الاستمرار فى تلك الحالة التى اعتنقوها، وعلى نسيان كيف دخلوها، وربما شعروا بالزهو والذكاء لوجودهم فيها .. وربما اجتذب ذلك إليهم غيرهم من الشواذ الذين يسعون أصلاً وراء فرص للتعبير عن آفاتهم وهم آمنون من الخوف والعار !

والذين يختارون الهوس والجنون لا يعلمون إلى أين يؤديان بهم ولا أين يقفان .. فليس للهوس والجنون " حساب " يمكن معرفته مقدما أو

ضبطه، ومتى سيطرا فلن يتخليا عن السيطرة تلقائيا عندما تدعو المصلحة .. ثم إن الناس تعتاد الحمق بالممارسة، ويتعذر عليهم أن يقلعوا عنه رغم فداحة ما يصيبهم من جرائه !!

وإقدامنا على اختيار الجنون ورفض العقل دليل نقص هائل فى حريتنا الداخلية وعجز تام عن ضبط رغباتنا، وانحراف بوصلتنا عن رباط الإسلام والأديان بعامة، وابتعاد مبعد عن الولاء لله عز وجل !